

العقل ودوره في فهم النص القرآني

محمد جابر علوان

قسم علوم القرآن/ كلية العلوم الإسلامية / جامعة بابل/العراق

almuhamed580@gmail.com

معلومات البحث
تاريخ الاستلام : 2020 /9/29
تاريخ قبول النشر: 2020 /10 / 10
تاريخ النشر: 2020 /11 /28

المستخلص

إن من أبرز العصور الإسلامية ذلك العصر الذي دخلت فيه الفلسفات القديمة لتحليل النص القرآني ولعل من المهم ان نذكر ان تفسير القرآن الكريم قد تضمن رؤية المفسر فلسفياً، ذلك أن بعض الفلاسفة المسلمين قد عكسوا فلسفاتهم على تفسير القرآن الكريم. والبعد الفلسفي واضح على بعض طروحات المفسرين، والحقيقة أنهم تأثروا بالقرآن ومضامينه، فنهلوا من هنا واحتفوا من هناك بثقافتهم الفلسفية، خصوصاً بعد ظهور الترجمة، وقد وجدنا ان ثمة إشكالية بين المفسر وما يحمله من ثقافة تضع النص المقدس موضع التأمل. وتلمسنا أن القرآن الكريم قد ترك أثره على الفلسفة الإسلامية من خلال رموزها الذين نقلوا للعالم رؤية القرآن في الوجود.

الكلمات الدالة: العقل، فهم النص القرآني، الفلسفة الإسلامية

Mind and its Role in Understanding the Quranic Text

Mohammed Jaber Alwan

Department of Quranic Sciences/The College of Islamic Sciences/
University of Babylon

Abstract

One of the most prominent Islamic eras is the era in which ancient philosophies attempted the analysis of the Qur'an text. Perhaps it is important to mention that the interpretation of the Holy Qur'an includes the interpretation of the interpreter philosophically, since some Muslim philosophers have reflected their philosophies on the interpretation of the Holy Qur'an. The philosophical dimension is clear on some of the commentators' narratives, and the truth is that they were influenced by the Qur'an and its contents, and they drew from here and celebrated from there with their philosophical culture, especially after the emergence of translation. We feel that the Holy Qur'an has left its impact on Islamic philosophy through its symbols who conveyed to the world the vision of the Qur'an in existence.

Key words: Reason, Understanding the Qur'anic text, Islamic philosophy

المقدمة:

الحمد لله واهب العقول والصلاة والسلام على محمد معلم الفروع والأصول وعلى آله الطيبين الطاهرين حماة الشريعة إلى يوم الدين، واللعنة الدائمة على اعدائهم إلى يوم الفاقة والذبول....
قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾¹.

تعامل الفكر الإسلامي مع العقل على أنه الحجة التي يحتج الله بها على الإنسان فقد وهبه إياه ليعقل الأمور به ويضعها موضعها التي تستحق، وما دام العقل يشكل حجة على بني آدم فلا بد من معرفة مفهومه وإدراك مديات استعمالته من لدن الإنسان وحدود ذلك الاستخدام، وفي الاصطلاح الفلسفي يعد العقل الملكة التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة، وثمة تعريفات أخرى سنمر على جانب منها في متن البحث، وعملية تأثر العقل الفلسفي بالقرآن والسنة النبوية جاء على اختلاف بين الفلاسفة ووفقاً للعصور التي مرت من عمر الفلسفة الإسلامية على أن الفلسفة في بداية تأسيس الدولة الإسلامية قد كانت من المحذورات خشية تدخلها في الكشف أو الإساءة لبعض الغيبيات التي آمن بها المسلمون القدامى، فوجدنا أن بعض الفلاسفة قد حاولوا نشر أفكارهم دون الاعلان عن أسمائهم ولا انتماءاتهم وهذا ما شكل جداراً تاريخياً كبيراً إلى يومنا هذا في جماعة اخوان الصفا وخلان الوفا التي ظهرت كفرقة فلسفية بثت افكارها من خلال رسائل اتسمت بالسرية.

ولكن في واقع الحال ظهر اثر القرآن والسنة النبوية على آراء الفلاسفة المسلمين نستعرض هذا الاثر في مبحث مستقل لنرى قوة هذا الاثر إن كان سلبياً أو ايجاباً.

اقتضت الضرورة ان ينتظم هذا البحث على أربعة مباحث هي على النحو التالي:

أما المبحث الأول فقد كرسته لمفهوم العقل في اللغة والاصطلاح والنظريات المفسرة للعقل عند المسلمين والغرب فيما تضمن المبحث الثاني التركيز على العقل في المنظومة الفكرية الإسلامية والمبحث الثالث جاء لي طرح سؤالاً مفاده: لماذا الجدال بين الفلسفة والنص القرآني، ثم خلص البحث إلى بعض الاستنتاجات وقائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة أملاً ان أكون قد حققت فائدة نسبية من كتابة هذا البحث والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: تعريف العقل لغةً واصطلاحاً

لغرض إدراك مفهوم العقل والإحاطة بهذا اللفظ لابد أولاً أن نتعرف معناه في اللغة وما حوته المعاجم عن أبعاده قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾².

فهذا ديننا الحنيف قد نزل على النبي العربي محمد (ﷺ) واضحاً جلياً للأفهام والعقول، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾³.

العقل لغة: قال ابن منظور (630هـ/711هـ) في لسان العرب (العقلُ الحِجْرُ والنُّهْيُ ضِدُّ الحِمْقِ والجمع عقول) وقال ابن الأثيري (رجل عاقلٌ وهو الجامع لأمره)، وقيل العاقلُ الذي يحبس نفسه ويردُّها عن هواها أخذ من قولهم قد اعتقل لسانه إذا حبس ومنع الكلام)⁴.

والعقلُ التَّنَبُّتُ في الأمور والعقلُ القلبُ والقلبُ العقلُ وسُمِّيَ العقلُ عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك أي: يحبسه وقيل العقلُ هو التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان، ويخبرنا الفيروز أبادي (729هـ/816هـ) في القاموس المحيط عن عقل صاحبه لكلمة العقل فيقول: إن العقل: كالعلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها أو العلم بخير الخيرين وشر الشريرين أو مُطلقاً لأمرٍ أو

لِقُوَّةِهَا بِهَا يَكُونُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ القُبْحِ وَالحُسْنِ وَلَمَعَانِ مُجْتَمِعَةٍ فِي الذَّهْنِ يَكُونُ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَنْبُ بِهَا الأَعْرَاضُ وَالمَصَالِحُ وَلِهَيْئَةٍ مَحْمُودَةٍ لِلإِنْسَانِ فِي حَرَكَاتِهِ وَكَلَامِهِ

جاء في تاج العروس لمرتضى الزبيدي المتوفى 1205 هـ العقل: (العقل: العلم وعليه اقتصر كثيرون، وفي العُباب: العقل: الحِجْرُ وَ النُهْيَةُ وَمِثْلُهُ فِي الصَّحَاحِ وَفِي المُحْكَمِ العَقْلُ: ضِدُّ الحُمُقِ أَوْ هُوَ العِلْمُ بِصِفَاتِ الأَشْيَاءِ مِنْ حُسْنِهَا وَقُبْحِهَا وَكَمَالِهَا وَنُقْصَانِهَا أَوْ هُوَ العِلْمُ بِخَيْرِ الخَيْرَيْنِ وَشَرِّ الشَّرَّيْنِ أَوْ مُطْلَقٌ لِأُمُورٍ أَوْ لِقُوَّةِهَا بِهَا يَكُونُ التَّمْيِيزُ بَيْنَ القُبْحِ وَالحُسْنِ وَلَمَعَانِ مُجْتَمِعَةٍ فِي الذَّهْنِ يَكُونُ بِمُقَدِّمَاتٍ يَسْتَنْبُ بِهَا الأَعْرَاضُ وَالمَصَالِحُ وَلِهَيْئَةٍ مَحْمُودَةٍ لِلإِنْسَانِ فِي حَرَكَاتِهِ وَكَلَامِهِ)⁶.

العقل عند الفلاسفة:

وفي الاصطلاح الفلسفي وردت عدة تعريفات للعقل منها: ما أشار إليها صليبا⁷ منها: (جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها). وهو (قوة طبيعية للنفس متهيئة لتحصيل المعرفة العلمية كما عرفه بعض الفلاسفة بأنه مجموع المبادئ القبلية المنظمة للمعرفة) وعند آخرين مثل (رسل) يعد الملكة التي يحصل بها للنفس علم مباشر بالحقائق المطلقة⁸.

ونظر إليه الفلاسفة القدامى مثل أفلاطون وأرسطو نظرة كلية كما أشار إبراهيم⁹ (1993) حين عرفوه بقولهم: قوى النفس التي بها يحصل تصور المعاني، وتأليف القضايا والأقيسة، وبأنه قوى في الإنسان تدرك طوائف من المعارف اللامادية، فيدرك العقل ماهيات الماديات، أي: كنهها ومعاني عامة كالوجود والجوهر والعرض والعلية والمعلول ويدرك وجود موجودات غير مادية.

والمتمتع في التعريفات السابقة يلاحظ ما يأتي:

ترددت هذه التعريفات للعقل بين جعله أداة تؤدي وظائف مختلفة كتحصيل المعرفة أو البرهنة والاستدلال، أو جعله الغاية من المعرفة وهو الوصول إلى الحقائق التي يتفق عليها جميع العقلاء، والبعض حصره في المعرفة العلمية لا المعرفة الدينية المستندة إلى الوحي، وبعضهم جعل العقل قادراً على إدراك المعارف المادية واللامادية، بل إدراك الحقائق المطلقة.

ولعل بعض هذه المعاني هي التي كونت لدى الغرب ذلك الاتجاه الذي رفع مكانة العقل وهو (المذهب العقلي) الذي يذهب إلى القول بأن كل معرفة تستحق هذا الاسم تتبع من التفكير والعقل، أما المعرفة التي تتبع من العقل فهي معرفة أولية، وهذا يعني أنها مستقلة عن الخبرة؛ لأن المعرفة التي تأتي من الخبرة -ومن الخبرة الحسية على وجه الخصوص- تعد معرفة غير واضحة ومشوشة، وكثيراً ما تخدع¹⁰، لذا يرى أنصار هذا الاتجاه أن العقل هو القوة التي تدرك ماهيات الأشياء أو المعقولات، بل وتدرك أيضاً الحقيقة المطلقة.... (و) أن تدرك الماهيات أو المعقولات التي في أذهاننا ليست إلا نماذج مماثلة لما في خارج الذهن من أشياء¹¹.

بل بالغ أصحاب هذا الاتجاه في اعتمادهم على العقل كوسيلة من وسائل المعرفة حيث أشار الطويل إلى أنهم يردون إلى العقل كل معرفة، ويرون أنها تمتاز بالضرورة والتعميم، ويراد بالضرورة: أن المعرفة العقلية صادقة، وتوجب صدقها ضرورة عقلية، وأن أحكامها وقضاياها صادقة على الدوام صدقاً ضرورياً محتوماً، إذ لا يمكن أن تصدق مرة وتكذب مرة أخرى.

ولعل سبب هذه الاختلافات في تحديد مفهوم العقل يرجع إلى اختلاف الزاوية التي نظر إليها العلماء للعقل، وإن كنا نستطيع القول بأن العقل هو: آلة تقوم بوظائف عدة كالإدراك والتفكير والنظر والاعتبار والتفقه، قادرة على إدراك الغيبات بالوسائط المحسوسة المشاهدة.

المبحث الثاني: وظيفة العقل وأقسامه في القرآن الكريم

إن الله عز وجل أعلى مكانة العقل لدى الإنسان و من أفضل مواهب الله لعباده العقل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾¹².

يقول أبو حاتم البستي (المشهور بابن حبان) في الروضة: العقل نوعان مطبوع ومسموع فالمطبوع منهما كالأرض والمسموع كالبذر والماء ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من رقدته ويطلقه من مكانه يستخرج البذر والماء ما في قعر الأرض من كثرة الربع. فالعقل الطبيعي من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض والعقل المسموع من ظاهره كنتلى ثمرة الشجرة من فروعها .

رأيت العقل نوعين

فمطبوع ومسموع

ولا ينفع مسموع

إذا لم يك مطبوع

والعقل جزء من الشرع، فكما أنه لا عقل – كامل – بلا شرع، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾¹³. كذلك لا شرع – كامل – بلا عقل، فالشرع هو كل ماورد في كتاب الله وصح من سنة رسوله ﷺ .

كما يقول أبو الحسن الأشعري (270 هـ – 324 هـ): (البلوغ هو تكامل العقل، والعقل عندهم هو العلم، وإنما سمي عقلاً؛ لأن الإنسان يمنع به عملاً لا يمنع المجنون نفسه عنه، وأن ذلك مأخوذ من عقل البعير، وإنما سمي عقاله عقلاً لأنه يُمنع به)¹⁴.

فانظر لولا العقل لما كان هناك تكليف لصاحبه، وهذا العقل هو الذي من خلاله يتم دراسة النصوص و النقول وفهمها لاستنباط الأحكام الشرعية والاستدلال بكل دليل في مكانه، فما غاب عن العقل من فهم نص في قرآن أو صحيح سنة فيسلم به المؤمن، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾¹⁵ .

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾¹⁶.

فالعقل يساعد على فهم الشرع، لا كما يظن الناس من أن الأحكام الشرعية قد تتعدى من عقولهم وأفهامهم، وكما جاء في الحديث الشريف عن علي (عليه السلام) قال: (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله (ﷺ) يمسح على ظاهر خفيه)¹⁷.

فهو الإيمان بالشرع والتسليم به هو كسر للعقل وتحجيم لقدرته كما يدعي العقلانيون؟ لا، وهذا ما سيتم إدراكه لاحقاً .

ولقد كان السلف يقولون: إن العقل عقلان غريزي ومكتسب. فالغريزي هو ما نسميه بالمقدرات العقلية من فهم وإدراك وفقه واتساق في الكلام وحسن تصرف، وهذا العقل الغريزي هذا هو مناط التكليف، فمن لا عقل له لا يكلف، ومن فقد بعض مقدراته العقلية فإنما يكلف بحسب ما بقي له منها.

يقول أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي في كتابه (تلييس إبليس): (فإن أعظم النعم على الإنسان العقل؛ لأنه الآلة في معرفة الإله سبحانه والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب فمثال الشرع الشمس ومثال العقل العين فإذا فتحت وكانت سليمة رأيت الشمس ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة سلم إليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم)¹⁸.

وظائف العقل :

وللعقل في القرآن معانٍ ووظائف بحسب نوع المعقول – أي نوع الشيء المراد عقله وفهمه. ومن

هذه المعاني:

أولاً- فهم الكلام:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾¹⁹ فبين أن السبب في جعله عربياً هو أن يفهمه ويعقله أولئك المتحدثون بهذه اللغة¹⁹.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسِرُنَا بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾²⁰.

ثانياً - فهم الحجج والبراهين:

قال الله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾²¹.

ثالثاً- موافقة القول للعمل:

قال الله تعالى: ﴿اتَّامِرُوا النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَتَسَوَّنَ أَنْفُسُكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾²² قال الله تعالى: ﴿كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾²³.

رابعاً- المفاضلة بين ما هو نافع وما هو ضار:

قال الله تعالى: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لِيُبْسَ الْمُؤَلَّى وَلِيُبْسَ الْعَشِيرِ﴾²⁴.

قال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾²⁵.

خامساً- التضحية بالمصلحة القليلة العاجلة من أجل مصلحة كبيرة آجلة:

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾²⁶.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَاللَّادِرُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾²⁷.

سادساً - استخلاص العبر من الحوادث التاريخية:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: 35) يشير سبحانه وتعالى هنا إلى قري قوم لوط.

قال الله تعالى: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)²⁸.

سابقاً - فهم دلالات الآيات الكونية:

قال الله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾²⁹.

قال الله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾³⁰.

ثامناً - حسن معاملة الناس:

قال الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾³¹.

المبحث الثالث: العقل ودوره في فهم النص القرآني

في شريعتنا الغراء أمور جليلة وأمور غيبية ومن لوازم الدين ومحكماته إيماننا بالغيب و كما جاء في الحديث الشريف: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) صححه الألباني: انظر حديث رقم (2797) في صحيح الجامع .

فالجدل المفتعل مابين النص والعقل لا يصل إليه إلا من نقص إيمانه، أما المسلم المحصن فإن العقل والنص لا يتقاطعان بل يسيران بشكل متوازي لا يفككان عن بعضهما³².

لقد ظن الإنسان نتيجة التقدم العلمي المذهل أنه قادر على كل شيء حيث أصبح هنالك من يدعو للتمرد على شريعة الله وعلى منهج الأنبياء والرسل بحجة أن في الانقياد لمنهج الأنبياء والرسل حجراً وامتهاناً لهذا العقل البشرى الجبار الذي استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه من هذا التقدم العلمي المذهل، وبحجة أن البشرية والإنسانية قد بلغت مرحلة الرشد التي تؤهلها لأن تختار لنفسها من المناهج والقوانين والأوضاع ما تشاء وبحجة ثلاثة ألا وهي أن مناهج الدين لم تعد تسائر روح العصر المتحررة المتحضرة³³.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾³⁴

كيف نسخر العقل لفهم دلالات النص بالدرجة الأولى؟

أولاً - بالتسليم الكامل للشريعة وعدم افتراض الاصطدام بين العقل والنص بعد ذلك يسخر العقل تلقائياً لفهم النص لأنه مهد الطريق له والتوفيق بيد الله .

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾³⁵.

فهل يقابل صاحب العقل والبصيرة الله على فضله ومنه بالجحود ؟ !!!

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾³⁶.

ثانياً - بالعلم والاختصاص حيث يطوع العقل للبناء، فالعقل والنص الشرعي متلازمان ما اجتمعت في شخص إلا أفرزت عالماً عاملاً يخدم الأمة .

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾³⁷ فعلى كل أن يعلم حدود تخصصه فلا يتكلم أهل الطب بالهندسة ولا أهل الهندسة بالطب، وبذلك الأولى ألا يتكلم بالشرع إلا من هو أهله من العلماء الربانيين الذين يبينون للناس ما جاءت به الشريعة الغراء، قال الله تعالى: ﴿لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾³⁸

ثالثاً - الباحث عن الحق يجب أن يتجرد من نزعة الهوى أو الحكم المسبق على أن هناك تعارضاً بين العقل والشرع، فهذا مخالف أصلاً لطرق البحث العلمي الدقيق .

قال الله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾³⁹ وكما جاء في الحديث الشريف : ﴿ ثلاث منجيات خشية الله تعالى في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى وثلاث مهلكات هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه﴾⁴⁰.

رابعاً - أن نعمل يقيناً أن هذا الدين لأبد أن يكون موافقاً للفطرة، إذ يستحيل أن يكون في دين الله ، أو شرعه أمر يخالف ويعارض ما فطره عليه، فالحكيم العالم بما خلق ومن خلق، يضع الشريعة المناسبة له الملائمة لخلقه.

فكما جاء في الحديث الشريف (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)⁴¹. قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁴².

فالإسلام دين الفطرة والعقل الغريزي (الفطري) والذي يتمثل بالمقدرات العقلية من الفهم والإدراك واتساق في الكلام وحسن تصرف، وهذا هو مناط التكليف، فمن لا عقل له لا يكلف، ومن فقد بعض مقدراته العقلية فإنما يكلف بحسب ما بقي له منها، وكل أمر شرعي يخطر في بالك أنه يعارض الفطرة ، فيجب أن تعلم أنه لا يخلو من أحد احتمالين:

فإما أنه أمر شرعي، ولا يخالف الفطرة الصحيحة المستقيمة، فمخالفته للفطرة وهم. وإما أنه يخالف الفطرة فعلاً، ولكنه لا يكون أمراً شرعياً، وإن نسبته الناس إلى الدين بغير علم ولا هدى، يقول العلامة الشوكاني: (إن العبارات الصادرة عن أهل الكلام والتي جعلها من بعدهم أصولاً لا مستند لها إلا مجرد الدعوى على العقل والفرية على الفطرة وكل فرد من أفرادها قد تنازعت فيه عقولهم و تخالفت عنده إدراكاتهم، فهذا يقول حكم العقل في هذا الكلام كذا، وهذا يقول حكم العقل في هذا كذا، ثم يأتي بعدهم من يجعل ذلك الذي يعقله من يقلده ويقتدي به أصلاً يرجع إليه ومعياراً لكلام الله تعالى وكلام رسوله (ﷺ) ، يقبل منهما ما وافقه ويرد ما خالفه)⁴³

خامساً - أن نفهم أسلوب القرآن المتميز في مخاطبة العقل، وإيقاظ الفطرة، وحشد الأدلة، وتحدي الكافرين، فقد أقام الله الحجة على الناس بهذه البيّنات فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾⁴⁴.

حيث يخاطب الله عز وجل في مواضع كثيرة أولي الألباب قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁴⁵.

أليست هذه دعوة صريحة و محكمة في أعمال العقل في معرفة الله عز وجل من خلال النظر في الآيات الكونية والتي بدأ العلم الحديث ووسائله المتقدمة بكشف بعض أسرارها اللامتناهية الآن.⁴⁶

قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَنَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁴⁷

فما هذا السياق العلمي الفريد المتناهي في الدقة التي تصف آيات الله عز وجل في كل ما خلق والتي تدعو إلى التدبر في المعاني المحكمة لآيات الله ومعجزاته بترتيبها الدقيق، أليست هذه دعوة لإعمال العقل في

كل شيء. قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة البقرة: 242). إن الذين أعملوا العقل وأمنوا وقد علموا وعملوا فهل يستون مع أولئك الذين استكبروا عن الحق الذين عرفوه ولكن لم يعملوا به؟ قال الله تعالى: ﴿أَمْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر: 9). والجواب القرآني المبين قوله الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ (سورة السجدة: 18).

سادساً - المعرفة بأن الاستكبار والإعجاب بالنفس من أخطر الأمراض التي تذهب بالعقل إلى غير الطريق السوي الذي يجب أن يسير به مما يصم الأذان عن سماع الحق ويمنع الأبصار عن جلاء الحقيقة. قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَّا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (سورة الحج: 46).

قال الله تعالى: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (سورة النحل: 22). سابعاً - يجب أن نعي مسألة الكلام بغير علم بأنها جدال ليس يهدي إلى الحق، فلا يريد به صاحبه إلا باطلاً. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾⁴⁸.

ثامناً - خشية الله طريق العلماء، فمن علم عظمة الله سبحانه وتعالى فلا بد أن يخشاه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾⁴⁹ الخشية: أي الخوف من الله مع العلم بعظمته⁵⁰.

المبحث الرابع: تأثير الفلسفة الإسلامية بالقرآن والسنة النبوية:

لقد استعار الإسلام في الفلسفة كما استعار في الطب من بلاد الشام المسيحية ما خلفته بلاد اليونان الوثنية ثم رد هذا الدين إلى أوربا المسيحية عن طريق الأندلس الإسلامية. وكانت هناك طبيعة الحال عوامل كثيرة هي التي أدت مجتمعة إلى ثورة المعتزلة وإلى فلسفات الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد. وكان للآراء الزرادشتية واليهودية عن الحشر والحساب بعض الأثر في الفلسفة الإسلامية وكان الملاحدة المسيحيون قد أثاروا عجاج الجدل في بلاد الشرق الأدنى في صفات الله وفي طبيعة المسيح وكلمة الله وفي الجبرية والقدرية والوحي والعقل. لكن العامل الذي كان له أكبر الأثر في التفكير الإسلامي في آسيا - كما كان له أكبر الأثر في إيطاليا أيام النهضة - هو كشف آثار اليونان الفكرية من جديد فقد أدى هذا الكشف - وإن أتى عن طريق التراجم الناقصة المعيبة لنصوص مشكوك في صحتها - إلى ظهور عالم جديد: عالم كان الناس يفكرون فيه في كل شيء ولا يخشون أن يصيبهم أذى بسبب هذا التفكير ولا تقيد عقولهم نصوص الكتب المقدسة ولا يرون أن السماء والأرض وما بينهما قد خلقت عبثاً أو أنها وجدت بمعجزة من المعجزات التي لا تستند إلى قانون من قوانين العقل بل يرون أنها تستند إلى قانون عام عظيم يحكمها جميعاً وتتضح آثاره في كل جزء من أجزاء الكون⁵¹. وقد افتتن المسلمون بالمنطق اليوناني في صورته الكاملة الواضحة التي جاء بها كتاب أورغانون (الآلة الفكرية)⁵² لأرسطو بعد أن أتيح لهم الفراغ الذي لا بد منه للتفكير ووجدوا فيه الأدوات التي يحتاجونها لتفكيرهم وظل المسلمون ثلاثة قرون طوال يحاجون بالمنطق وتسلب لبيهم بهجة الفلسفة المحببة كما سلبت لب الشباب في أيام أفلاطون. وسرعان ما أخذ صرح العقائد التعسفية يتصدع وينهار كما انهارت العقائد اليونانية بتأثير بلاغة السوفسطائيين وكما ضعفت العقائد المسيحية وتزعزعت قواعدها تحت ضربات أصحاب الموسوعات الفرنسيين وسخرية فلتير اللاذعة⁵³، وكانت البداية التقريبية

للعهد الذي نستطيع أن نسميه عهد الاستتارة الإسلامية هي الجدل الذي ثار حول موضوع عجيب هو موضوع خلق القرآن.

كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان وعقيدة المسيحيين العارفين وأتباع الأفلاطونية الحديثة الذين يجسدون الحكمة الإلهية يقولون: إنها هي أداة الخلق الفعالة وعقيدة اليهود في أزلية التوراة - كل هذه الآراء قد أوجدت عند المسلمين السنيين عقيدة مماثلة تقول إن القرآن كان على الدوام موجوداً في عقل الله وإن نزوله على محمد كان هو دون غيره حادثاً في زمان معين وكانت نشأة الفلسفة في الإسلام على يد المعتزلة الذين ينكرون قدم القرآن وهم يجهزون باحترامهم لكتاب الله الكريم ولكنهم يقولون إنه إذا تعارض هو أو الحديث مع العقل وجب ألا يفسر تفسيراً حرفياً بل مجازياً وأطلقوا على يد هذه الجهود التي يحاولون بها التوفيق بين العقل والدين اسم الكلام أي المنطق. وقد بدا لهم أن من السخف أن تؤخذ بحرفيتها العبارات الواردة في القرآن والتي تقول إن الله يدين وقدمين وإنه يغضب ويكره وقالوا إن تشبيهه الله بالكائنات البشرية على هذا النحو الشعري إذا كان يتفق مع أغراض النبي الأخلاقية والسياسية في أيام الرسالة لا يمكن أن يقبله المتعلمون المستنيرين في أيامهم وإن العقل البشري عاجز كل العجز عن معرفة طبيعة الله وصفاته وكل ما يستطيعه أن يقبل ما جاء به الدين من إثبات وجود قوة روحية عليا هي أساس الحقائق عامة. فضلاً عن هذا فقد كان المعتزلة يرون أن الخطر الشديد على أخلاق الناس وأعمالهم أن يؤمنوا كما يؤمن عامة المسلمين بأن الحوادث كلها مقدررة تقديراً كاملاً من عند الله وأن الله قد اختار منذ الأزل من سيئات ومن سيعذب⁵⁴.

وانتشرت عقائد المعتزلة بهذه الصورة وبما أدخل عليها من الصور الأخرى التي يخطئها الحصر أثناء خلافة المنصور وهارون الرشيد والمأمون واعتنق هذه المبادئ العقلية الجديدة سرّاً في بادئ الأمر عدد من العلماء والخارجين على الدين ثم جهز بها رجال في ندوة الخلفاء المسائية ثم وجدت من يدعو إليها في المحاضرات التي تلقى في المدارس والمساجد بل تغلبت في أماكن متفرقة على غيرها من الآراء. وافتنن المأمون نفسه بهذه النزعة العقلية الآخذة في القوة وبسط عليها حمايته وانتهى الأمر بأن جعل عقائد المعتزلة مذهب الدولة الرسمي⁵⁵. ذلك أن المأمون مزج بعض عادات الملكية الشرقية بآخر الآراء الإسلامية المستمدة من الثقافة اليونانية وأصدر في عام 832 أمراً يفرض فيه على جميع المسلمين أن يعتقدوا بأن القرآن قد خلق في وقت بعينه وأتبع هذا بأمر آخر يقضي بالأعين قاضياً في المحاكم من لا يعلن قبوله لهذه العقيدة الجديدة أو أن تقبل فيها شهادته وصدرت بعد هذين القرارين قرارات أخرى تحتم قبول عقيدة حرية الإرادة وعجز النفس البشرية عن رؤية الله رأى العين وانتهى الأمر بأن جعل رفض هذه العقائد من الجرائم التي يعاقب مرتكبها بالإعدام.

وتوفي المأمون في عام 833 ولكن المعتصم والذين تولوا الخلافة بعده واصلوا هذه الحملة الفكرية وقاوم ابن حنبل هذا الاضطهاد الفكري وندد به ولما استدعي لمناقشته في أمر المبادئ الجديدة أجاب عن كل ما وجه إليه من الأسئلة بإيراد شواهد من القرآن تؤيد آراء أهل السنة فضرب حتى أغمي عليه وألقي في السجن ولكنه أصبح في أعين المسلمين بسبب هذا التعذيب من الشهداء والأولياء الصالحين وكان تعذيبه هذا من العوامل التي مهدت السبيل للانتفاض على الفلسفة الإسلامية.

وكانت هذه الفلسفة قد أخرجت في ذلك الوقت أول داع كبير لها وهو أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي الذي ولد في الكوفة عام 803م. وكان والد الكندي من ولاية الأعمال في المدينة وتلقى هو العلم فيها وفي بغداد وذاعت شهرته في الترجمة والعلم والفلسفة في بلاط المأمون والمعتصم ونبغ مثل الكثيرين من أمثاله في مجد الإسلام الفكري في عدد كبير من العلوم فدرس كل شيء وكتب 265 رسالة في كل شيء - في الحساب والهندسة النظرية والهيئة والظواهر الجوية وتقويم البلدان والطبيعة والسياسة والموسيقى والطب

والفلسفة... وكان يرى ما يراه أفلاطون من أنه ليس في وسع إنسان أن يصبح فيلسوفاً من غير أن يكون قبل ذلك عالماً في الرياضة وحاول أن يبني علم الصحة والطب والموسيقى على نسب رياضية. وقدرت فيما درس ظاهرة المد والجزر وبحث القوانين التي تحدد سرعة الأجسام الساقطة في الهواء كما بحث ظاهرة الضوء في كتابه عن البصريات الذي كان له أكبر الأثر في روجر بيكن (وقد أدهش الكندي العالم الإسلامي برسالته في الدفاع عن المسيحية) واشترك هو وزميل له في ترجمة كتاب أرسطو في الإلهيات (أوثولوجيا). وتأثر الكندي أشد التأثر بهذا الكتاب المنحول وسر كل السرور أن يوفق بين أرسطو وأفلاطون إذ يجعل كليهما من أتباع الأفلاطونية الجديدة.

ذلك أن فلسفة الكندي نفسه هي الأفلاطونية الجديدة مصبوغة صبغة جديدة: فالنفس عنده ثلاث مراتب: الله ونفس العالم الخلاقة والنفس البشرية التي هي فيض من هذه النفس الثانية⁵⁶.

وإذا استطاع الإنسان أن يدرب نفسه على العلم الحق استطاع أن ينال الحرية والخلود. ويلوحأن الكندي قد حاول ما استطاع أن يبتعد عن آراء المعتزلة وأن يعتنق آراء أهل السنة ولكنه أخذ عن أرسطو التفرقة بين العقل الفاعل أي العقل الإلهي وعقل الإنسان المنفعل الذي لا يعدو أن يكون هو القدرة على التفكير. ونقل ابن سينا هذا التقريب إلى ابن رشد الذي أثار به العالم واتخذ حجة ضد الفاتلين بالخلود الفردي. وانتهى الكندي بالانضمام إلى المعتزلة فلما قام عليهم أهل السنة صودرت كتبه وكاد يقضى على حياته ولكنه نجا من هذه العاصفة واسترد مكتبته وعاش حتى عام 873.⁵⁷

إن المجتمع الذي يرتبط فيه نظام الحكم والقانون والأخلاق بالعقيدة الدينية يرى كل خروج على تلك العقيدة تهديداً خطيراً للنظام الاجتماعي نفسه. ولقد عادت إلى النشاط من جديد جميع القوى التي طغى عليها الفتح العربي وهي الفلسفة اليونانية والمسيحية والغنوسية والقومية الفارسية والشيوعية المزدكية وكان نشاطها عنيفاً فأخذت تجادل في القرآن وجهر شاعر فارسي بأن شعره أعلى منزلة من القرآن نفسه فكان جزاؤه على قوله هذا قطع رأسه وبدا أن صرح الإسلام القائم على القرآن قد أصبح وشيك الانهيار. غير أن عوامل ثلاثة في هذه الأزمة الشديدة جعلت النصر النهائي لأهل السنة: وهذه العوامل هي وجود خليفة محافظ مستمسك بدينه واشتداد ساعد الحرس التركي وولاء الناس الطبيعي لعقائدهم الموروثة⁵⁸ فلما تولى المتوكل الخلافة في عام 847 استمد العون من الشعب ومن الأتراك. وكان الترك حديثي العهد بالإسلام حاقدين على الفرس غريبيين عن الفكر اليوناني فاندفعوا بكل ما فيهم من قوة لتأييد السياسة التي ترمي إلى نصره الدين بحد السيف. فنقض المتوكل السياسة الحرة العنيفة التي جرى عليها المأمون وألغى ما أصدره فيها من المراسيم وأخرج المعتزلة وغيرهم من الملحنين عن مناصب الدولة والوظائف التعليمية وحرّم الجهر بالآراء المخالفة لآراء أهل السنة في الأدب والفلسفة وسنّ قانوناً يحتم القول بأن القرآن أزلي غير مخلوق واضطهد الشيعة وهدم مشهد الحسين في كربلاء. وجدد المتوكل الأمر المعزور إلى عمر بن الخطاب ضد المسيحيين والذي وسعه هارون الرشيد حتى شمل اليهود ثم أهمل العمل به بعد صدوره جدد المتوكل هذا الأمر ففرض على اليهود والمسيحيين أن يلبسوا ثياباً من لون خاص تميزهم من غيرهم من أفراد الشعب وأن يضعوا رقعاً ملونة على أكمام أثواب عبيدهم وألا يركبوا غير البغال والحمير وأن يثبتوا صوراً خشبية للشيطان على أبواب بيوتهم وأمر بهدم جميع الكنائس والمعابد المسيحية واليهودية الجديدة وحرّم رفع الصليب علناً في المواكب المسيحية ولم يسمح لمسيحي أو يهودي أن يتلقى العلم في المدارس الإسلامية.

واتخذ رد الفعل في الجيل التالي صورة أقل عنفاً من هذه الصورة السابق وصفها. فقد قام جماعة من العلماء السنيين وجهروا في شجاعة بقبول حكم المنطق في الجدل القائم وعرضوا أن يثبتوا بالرجوع إلى العقل صدق العقائد الأصلية. وهؤلاء المتكلمون (المناطق) في الإسلام يشبهون الفلاسفة المدرسين في أوروبا

في العصور الوسطى وقد حاولوا أن يوفقوا بين العقائد الدينية والفلسفة اليونانية كما حاول ابن ميمون ذلك في القرن الثاني عشر بالنسبة لليهود وتومس أكوناس في القرن الثالث عشر بالنسبة للمسيحية. وظل أبو الحسن الأشعري (873 - 935) يعلم الناس مبادئ المعتزلة نحو عشر سنين في البصرة ولكنه انقلب عليهم حين بلغ الأربعين من عمره وهاجمهم بسلاحهم هم أنفسهم وهو سلاح المنطق وسلط عليهم سيلاً جارفاً من الجدل القوي كان له أكبر الأثر في انتصار عقائد أهل السنة. وقد آمن أبو الحسن إيماناً قوياً بمبدأ الجبرية فقال إن الله قدر منذ الأزل كل عمل وكل حادث وإنه عللها كلها وإنه يعلو على القوانين والأخلاق وإنه يصرف شؤون خلقه كما يشاء فإذا بعث بهم جميعاً إلى النار فليس في ذلك ولم يرضَ أهل السنة كلهم بإخضاع الدين إلى هذا الجدل العقلي ونادى كثيرون منهم بمبدأ (بلاكيف) أي أن من واجب الإنسان أن يؤمن دون أن يسأل كيف يكون هذا الإيمان وامتنع معظم علماء الدين عن الجدل في الموضوعات الأساسية ولكنهم اندفعوا يجادلون في التفاصيل الجزئية لعقيدة اتخذوا مبادئها الأساسية بداية يسلمون بها دون مناقشة.

وهكذا هدأت موجة الفلسفة في بغداد ولكنها ثارت في الوقت نفسه في العواصم الإسلامية الصغرى فوهب أبو نصر الفارابي بيتاً في بغداد وكان الفارابي أول من نبغ وانتشر صيته من العلماء الأتراك. كان مولده في فاراب إحدى ولايات التركستان ودرس المنطق في بغداد على معلمين مسيحيين وقرأ كتاب الطبيعة لأرسطو أربعين مرة وكتاب النفس مائتي مرة ورمي بالزندقة في بغداد وارتدى ملابس المتصوفة واعتنق مبادئهم وعاش كما يعيش طير الهواء. ويقول عنه ابن خلكان إنه كان أزهدهم الناس في الدنيا لا يحتفل بأي مكسب ولا مسكن. وسنالفارابي عما يكفيه من المال فقال: إنه يكفيه أربعة دراهم في اليوم فأجرى عليه الأمير هذا القدر من بيت المال واقتصر عليها لقناعتته ولم يزل إلى أن توفي⁵⁹.

وقد بقي من مؤلفات الفارابي تسعة وثلاثون كتاباً كثير منها شروح لأرسطو وتعليقات على آرائه. وقد لخص في كتابه إحصاء العلوم علم عصره في الفلسفة والمنطق والرياضيات والطبيعة والكيمياء والاقتصاد والسياسة. وقد أجاب إجابة سلبية صريحة عن السؤال الذي أثار ثائرة الفلاسفة المسيحيين بعد قليل من ذلك الوقت وهو هل الكلي (أي الجنس والنوع والصفة) يوجد قائماً بنفسه منفصلاً عن الجزئي وقد خدع كما خدع غيره بالهيات أرسطو فبدل الاصطاعيري العنيد إلى رجل متصوف. وطال به العمر حتى هدأت ثورته العلمية واستمسك بقواعد الدين. وكان في شبابه قد جهر بنزعة لا إرادية متشككة ثم خطا في مستقبل حياته خطوات واسعة فأعطانا وصفاً مفصلاً للخالق مستعيناً على ذلك بالبراهين التي أوردها أرسطو ليثبت بها وجود الله والتي استعان بها أكوناس بعد ثلاثة قرون من ذلك الوقت فقال إن حدوث سلسلة من الحوادث العارضة لا يمكن إدراكها إلا إذا أرجعناها في النهاية إلى كائن لا بد من وجوده لوقوعها وجود سلسلة من العلة يتطلب وجود علة أولى وسلسلة من الحركات يتطلب محركاً أول غير متحرك والتعدد يتطلب الوحدة. وإن الهدف النهائي للفلسفة وهو الهدف الذي لا يمكن بلوغه كاملاً هو معرفة العلة الأولى وخير طريق للوصول إلى هذه المعرفة هو تطهير النفس. وقد استطاع الفارابي كما استطاع أرسطو أن يعنى بجعل أقواله عن الخلود غامضة غير مفهومة. ومات الرجل في دمشق عام 950 م.⁶⁰

ومن بين كتب الفارابي الباقية كلها كتاب واحد يدهشنا ما يدل عليه من قوة الابتكار ونعني به كتاب المدينة الفاضلة⁶¹. ويبدأ الكتاب بوصف قانون الطبيعة بأنه كفاح واحد دائم يقوم به كل كائن حي ضد سائر الكائنات وهو في ذلك يشبه ما يقول هيز من أن الأشياء كلها يحارب بعضها بعضاً ثم يقول إن كل كائن حي يرى في آخر الأمر أن سائر الكائنات الحية وسائل يحقق بها أغراضه ثم يعقب على هذا بقوله إن بعض الساعرين يستنتجون من هذا أن الرجل العاقل في هذا التنافس الذي لا مفر منه هو أقدر الناس على إخضاع غيره لإرادته وأعظمهم تحقيقاً لرغباته كاملة. فكيف خرج المجتمع الإنساني إذن من هذا القانون قانون الغاب

وإذا ما أمعنا الفكر في أقوال الفارابي رأينا أنه كان من بين المسلمين الذين بحثوا هذا الموضوع فلاسفة من طراز روسو وآخرون من طراز ننتشة: فمنهم من قال إن المجتمع قام في بادئ الأمر على أساس نوع من الاتفاق بين أفراد على أن بقاءهم يتطلب قبول بعض القيود التي تعتمد على العادات والقانون ومنهم من سخر من هذا العقد الاجتماعي وقال إن مثل هذا التعاقد لم يوجد قط في تاريخ العالم وأكد أن المجتمع بدأ أو أن الدولة بدأت بإخضاع الأقوياء للضعفاء وتجنيدهم تحت سلطانها. ويضيف هؤلاء الننتشيون أن الدولة نفسها أدوات للتنافس وأن يقاتل بعضها بعضاً سعيًا وراء سيادتها على غيرها وسلامتها وسلطانها وراثتها وأن الحرب طبيعية ولا مفر من وقوعها وأن الذي سيسفر عنه هذا الصراع لا بد أن يتمشى مع قانون الطبيعة الأزلي وهو أن الحق الوحيد هو القوة. ويقاوم الفارابي هذه النزعة بأن يدعو إلى إقامة مجتمع على قواعد العقل والوفاء والحب لا على أساس الحسد والقوة والخصام. ويختم بحثه بخاتمة موفقة بالدعوة إلى إقامة ملكية على أساس العقيدة الدينية القوية.

وأنشأ تلميذ لأحد تلاميذ الفارابي في بغداد عام 970 جمعية من العلماء - معروفة لنا باسم موطن منشئها - الجمعية السجستانية غرضها بحث المسائل الفلسفية. ولم تكن هذه الجمعية تسأل أعضائها عن أصلهم أو ملهم ويبدو أنها صرفت همها كله إلى دراسة المنطق وفلسفة المعرفة ولكن وجودها يدل على أن الرغبة في البحوث العلمية والعقلية لم تخب جذوتها في عاصمة الدولة الإسلامية. وأهم من هذه الجمعية شأنًا أو بالأحرى أعظم منها أثرًا جمعية أخرى من نوعها ولكنها في واقع الأمر جمعية سرية من العلماء والفلاسفة أنشئت في مدينة البصرة عام 983 ونعني بها جمعية إخوان الصفا. وكان سبب قيامها أن هؤلاء الإخوان روعهم ما شاهدوه من ضعف الخلافة الإسلامية وفقر شعوبها وفساد أخلاقهم فتاقت نفوسهم إلى تجديد الإسلام من النواحي الأخلاقية والروحية والسياسية وخيل إليهم أن هذا التجديد إنما يقوم على مزيج من الفلسفة اليونانية والمسيحية والتصوف الإسلامي وآراء الشيعة السياسية والشريعة الإسلامية. وكانوا يفهمون الصداقة على أنها تعاون بين ذوي الكفايات والفضائل المختلفة تأتي فيها كل طائفة بما تحتاجه الجماعة كلها وما لا تجده عند الطوائف الأخرى. وفي اعتقادها أن الوصول إلى الحقيقة عن طريق اجتماع العقول أيسر من الوصول إليها عن طريق التفكير الفردي. ولهذا كانوا يجتمعون في السر ويبحثون في حرية تامة شاملة وتفكير واسع الأفق وتأدب جم جميع مشاكل الحياة الأساسية. وأصدرت الجماعة في آخر الأمر إحدى وخمسين رسالة جمعت شتات أبحاثها كلها وضمنتها خلاصة العلوم الطبيعية والدينية والفلسفة. وأولع أحد مسلمي الأندلس أثناء تجواله في بلاد الشرق الأدنى حوالي عام 1000 م بهذه الرسائل فجمعها واحتفظ بها⁶². ونجد في هذه الرسائل البالغة 1134 صفحة تفسيراً علمياً للمد والجزر والزلازل والخسوف والكسوف والأمواج الصوتية وكثير غيرها من الظواهر الطبيعية كما نجد فيها قبولاً صريحاً كاملاً للتنجيم والكيمياء الكاذبة ولا تخلو من عبث بالسحر وتلاعب بالأعداد. أما ما فيها من العقائد الدينية فهو شديد الصلة بالأفلاطونية الجديدة كما هو شأن الكثرة الغالبة من كتابات المفكرين المسلمين فهم يقولون إنه عن الموجود الأول أي الله يصدر العقل الفعال وعن هذا العقل يصدر عالم الأجسام والنفوس وإن جميع الأشياء المادية توجد في النفس وتعمل عن طريقها وكل نفس تظل مضطربة قلقة حتى تتصل بالعقل الفاعل أو نفس العالم أو النفس الكلية ويتطلب هذا الاتصال تطهير النفس تطهيراً كاملاً والأخلاق هي الفن الذي تصل به النفس إلى هذا التطهير والعلم والفلسفة والدين كلها وسائل لبلوغه. ويجب علينا في سعينا للتطهير أن ننسجلى منوال سقراط في الأمور العقلية. وأن نهج نهج المسيح في الإحسان إلى الخلق عامة ونهج علي في نبه وتواضعه. فإذا ما تحرر العقل عن طريق المعرفة وجب أن يحس بحريته في أن يؤول عبارات القرآن التي تتناسب مع فهم بدو غير متحضرين يسكنون الصحراء تأويلاً مجازياً.

ويمكن القول بوجه عام أن هذه الرسائل الإحدى والخمسين أكمل ما وصل إلينا من تعبير عن التفكير الإسلامي في العصر العباسي وإنها أعظم تناسقاً من جميع الرسائل في هذا التفكير.

وقد رأى علماء بغداد⁶³ أن هذه الرسائل من قبيل الإلحاد فحرقوها في عام 1150 ولكنها رغم هذا ظلت تتداولها الأيدي وكان لها أثر شامل عميق في الفلسفة والحق أن ميتافيزيقية ابن سينا تكاد تكون خلاصة ما وصل إليه المفكرون اللاتين بعد مائتي عام من أيامه من توفيق بين المذاهب الفلسفية المختلفة في الفلسفة المدرسية. وهو يبدأ بشرح مفصل بذل فيه جهداً شاقاً لمذهب أرسطو والفارابي في المادة والصورة والعلل الأربعة والممكن والواجب والكثرة والواحد ويدهش كيف تستطيع الكثرة الممكنة المتغيرة - كثرة الأشياء الفانية - أن تصدر عن الواحد الواجب الوجود الذي لا يتغير. وهو يفعل ما يفعله أفلاطون في فكر في حل هذه المشكلة بافتراض وجود وسيط بينهما هو العقل الفاعل منتشراً في العالم السماوي والمادي والبشري وهو النفس. ثم إنه وجد شيئاً من الصعوبة في التوفيق بين الانتقال من عدم الخلق إلى الخلق وبين صفة عدم التغيير الملازمة لله فينزع إلى الاعتقاد مع أرسطو بقدوم العالم المادي ولكنه يدرك أن هذا سيؤلب عليه جماعة المتكلمين فيعرض عليهم حلاً وسطاً كثيراً ما لجأ إليه الفلاسفة المدرسيون وهو: أن وجود الله سابق على وجود العالم سبقاً ذاتياً لا زمانياً أي في المرتبة والجوهر والعلة فوجود العالم يعتمد في كل لحظة من اللحظات على وجود القوة الحافظة له وهي الله ويقول ابن سينا إن كل الموجودات ممكنة حتى الأفلاك نفسها أي أنها ليست واجبة الوجود أو محتومة. وهذه الممكنات لا بد لوجودها من علة تتقدمها وتخرجها إلى الوجود ولهذا لا يمكن تفسير وجودها بإلبراجها بعد سلسلة من العلة إلى موجود واجب الوجود أي واحد قائم بذاته هو العلة الأولى لسائر الموجودات. والله وحده هو الموجود بذاته وإن وجوده أهو عين ماهيته فهو واجب الوجود. ولولاه لما كان شيء مما يمكن أن يكون. ولما كان العالم كله ممكناً أي أن وجوده ليس بذاته فإن الله لا يمكن أن يكون مادة بل إنه بريء من الجسم وهو العقل واحد من كل وجه لا تركيب فيه. ولما كان في المخلوقات كلها عقل فلا بد أن يكون في خالقها عقل أيضاً. وهذا العقل

الأول يرى كل شيء - الماضي والحاضر والمستقبل - لا في وقت ولا بالتتابع بل يراه كله مرة واحدة. وحدث هذه الأشياء هو النتيجة الزمنية لفكرة اللازمي. ولكن الأفعال والحوادث لا تصدر عن الله مباشرة، بل إن الأشياء تتطور بفعل غائي داخلي - أي إن لها أغراضاً ومصائر في ذاتها. ولهذا فإن الله لا يصدر عنه الشر بل إن الشر هو الثمن الذي نؤديه نظير ما لنا من حرية الإرادة وقد يكون الشر للجزء هو الخير للكل.

ووجود النفس يدل عليه التأمل الداخل المباشر. والنفس لهذا السبب عينه روحانية فنحن لا ندرك أكثر من أنها كذلك وأفكارنا منفصلة انفصلاً واضحاً عن أعضائنا. وهي مبدأ الحركة الذاتية والنماء في الجسم وبهذا المعنى تكون للكواكب نفوس. والكون كله مظهر لمبدأ الحياة العام. والجسم وحده لا يستطيع أن يكون فاعلاً بل إن سبب كل حركة من حركاته هو نفسه التي تحل فيه ولكل نفس ولكل عقل قدر من الحرية والقدرة على الخلق والإبداع شبيهة بقدرة السبب الأول لأنها فيض منه. وتعود النفس الخالصة بعد الموت إلى الاتصال بالفعل الكلي وفي هذا الاتصال تكون سعادة الصالحين.⁶⁴(1)

وقد بذل ابن سينا كل ما يستطيع أن يبذله من الجهود للتوفيق بين الآراء الفلسفية وعقائد جمهرة المسلمين. فلم يكن مثل لكريشبيوس يرغب في القضاء على الدين من أجل الفلسفة ولم يكن كالغزالي في القرن الذي بعده يريد أن يقضي على الفلسفة من أجل الدين بل هو يعالج كل مسألة مستنداً إلى العقل وحده غير متقيد مطلقاً بالدين ويحلل الوحي في ضوء قوانين الطبيعة ولكنه يؤكد حاجة الناس إلى الأنبياء ليبينوا لهم قواعد الأخلاق في صور من الاستعارات والمجازات تفهمها عقولهم وتتأثر بها⁶⁵. وبهذا المعنى يكون النبي

رسول الله؛ لأنه يضع الأسس التي يقوم عليها النظام الأخلاقي والاجتماعي. ومن أجل هذا كان النبي ينادي ببعث الأجسام وكان قد تألفت منهم أمة واحدة قوية منظمة. وأرقى البشر وأرفعهم درجة هم الذين يستطيعون أن يعبدوا الله عبادة تقوم على الحب الحر وهو الذي لا ينبعث من الرغبة أو الرهبة ولكن هؤلاء لا يكشفون عن هذه المرتبة السامية لعامة أتباعهم بل يكشفونها لمن كملت عقولهم وسمت نفوسهم⁶⁶. وكتابا الشفاء والقانون لابن سينا هما أرقى ما وصل إليه التفكير الفلسفي في العصور الوسطى وهما من أعظم البحوث في تاريخ العقل الإنساني. وهو يسترشد في كثير من بحوثه في الكتابين بأرسطو والفارابي كما استرشد أرسطو في كثير من بحوثه بأفلاطون. غير أن هذا لا ينقص من قدره ذلك أن نزلاء المستشفيات العقلية هم وحدهم المبدعون تمام الإبداع الذين لا يتأثرون بعقول غيرهم. وفي بعض أقوال ابن سينا ما يبدو لعقولنا المعرضة إلى الخطأ أنه سخف وهراء ولكن هذا الحكم بعينه ينطبق أيضاً على أقوال أفلاطون وأرسطو والحق أنه ليس ثمة سخيف لا نجده في صحف الفلاسفة. ولسنا نجد عند ابن سينا ما نجده عند البيروني من أمانة التشكك وروح النقد واتساع الأفق وحرية العقل وهو أكثر منه أخطاء ذلك أن البحوث التركيبية لا بد أن تؤدي هذا الثمن ما دامت الحياة على ما هي من قصر الأمد. ولقد بز الرئيس ابن سينا جميع أقرانه بوضوح أسلوبه وحيويته وبقدرته على جعل التفكير المجرد مشرفاً بعيداً عن السامة والملل بما يبثه فيه من القصص الإيضاحية وأبيات الشعر التي لا نرى عليه مأخذاً في إيرادها وبتساع مجاله الفلسفي والعلمي اتساعاً منقطع النظير. ولقد كان ابن سينا عظيم الأثر فيمن جاء بعده من الفلاسفة والعلماء وقد تعدى هذا الأثر بلاد المشرق إلى الأندلس حيث شكل فلسفة ابن رشد وابن ميمون وإلى العالم المسيحي اللاتيني وفلاسفته المدرسين وإنا لندهش من كثرة ما نجده من آراء ابن سينا في فلسفة ألبرتس مجنس وتومس أكوناس ويسميه روجر بيكن: كبير عميد الفلسفة بعد أرسطو. ولم يكن أكوناس وهو يتحدث عنه بنفس الاحترام الذي يتحدث به عن أفلاطون مجاملاً قط كالألف عادته حين يتحدث عن عظماء الرجال⁶⁷.

وكاد أجل الفلسفة العربية في الشرق ينقضي بموت ابن سينا ذلك أن نزعة السلاجقة السنية القوية وارتياح رجال الدين من الآراء الفلسفية الجريئة وانتصار نزعة الغزالي الصوفية لم تلبث كلها أن قضت على كل تفكير. وإن مما يؤسف له أن يكون علمنا بتلك القرون الثلاثة (750 - 1050) التي ازدهر فيها التفكير الإسلامي ناقصاً كل النقص. ويرجع سبب ذلك إلى أن آفاقاً من المخطوطات العربية في العلوم والآداب والفلسفة لا تزال مخبوءة في مكتبات العالم الإسلامي.

الخاتمة والاستنتاجات

بعد حركة الترجمة التي تمت عند العرب، وترجمتهم لكتب الفلسفة والمنطق والفنون وغيرها من العلوم إلى اللغة العربية انقسم العرب حيال ذلك إلى رافض لهذه الفلسفة والتي حملت مفاهيم وتصورات تعارض معتقداتهم. وفي المقابل حاول البعض التوفيق بين الدين والفلسفة.

الوقوف ضد الفلسفة وجد البعض تعارضاً كبيراً بين الدين والفلسفة وإن ما أنت به الفلسفة اليونانية يعد منافياً لما يحمله الإسلام من منهج ونزوا أنفسهم للتصدي لهذه الفكر. ونجد الآن هنالك من يرفع شعار لا للفلسفة، نعم للتفلسف.. كتب الغزالي كتابه (تهافت الفلاسفة) متصدياً للمتأثرين بالفلسفة اليونانية.

الوقوف مع الفلسفة

وفي المقابل هنالك من انبهر بالفلسفة اليونانية فحاول التوفيق بين الدين والفلسفة، بمعنى التوفيق بين معتقداتهم الديني والفلسفي ولكن ظلت هنالك قضايا شائكة لم يستطيعوا تجاوزها مثل قدم العالم... وهؤلاء فسروا القرآن بالفلسفة ولجأوا للتأويل ومنهم امثال هؤلاء اخوان الصفا، ابن سينا، الفارابي .

فسر الفارابي قوله تعالى (هو الأول والآخر) مؤكدا ما تأثر به من المدرسة الأفلاطونية بقدّم العالم ويشرح (الملائكة) بانها (صورة علمية، جواهرها علوم إبداعية قائمة بذواتها، تلحظ الأمر الأعلى فينطبع في هويتها ما تلحظ وهي مطلقة، لكن الروح القدسية تخاطبها في اليقظة والروح البشرية تعاشرها في النوم). كذلك فعل إخوان الصفا في تفسيرهم، فمثلا يقولون ان الجنة هي عالم الافلاك وان النار هي عالم ما تحت فلك القمر.

وفي نفس الجانب كان ابن سينا يعتقد ان القران عبارة عن رموز وذلك القول فيه تآثر بما قاله افلاطون (ان من لم يقف على معاني رموز الرسل لم ينل الملكوت الالهي). وبناء على ما اخذه من الفلسفة اليونانية المليئة بالرموز المستخدمة عند فيثاغورث وسقراط وافلاطون يفسر ابن سينا القران بشكل مجافٍ وبعيد عن حقيقة القران ومن خلال رحلة البحث نستطيع القول: إن الفلسفة دخلت المنظومة الفكرية العربية بعد مرحلة الترجمة :

الهوامش

- 1.سورة الأسراء، الآية 9.
- 2.سورة يوسف:2 .
- 3.سورة إبراهيم:4.
- 4.ابن منظور، لسان العرب، ط3، مادة (عقل).
- 5.الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دم، دن، د.ط، ج3، ص125.
- 6.مرتضى الزبيدي، تاج العروس، ص94.
- 7.صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ط1، 84/2-88.
8. بوترو، إميل، الفلسفة والعلم في الفلسفة المعاصرة، ترجمة:أحمد الأهواني، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ط1، ص11.
- 9.إبراهيم، مصطفى إبراهيم، مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، د.ط، ص65.
10. زقروق، محمود حمدي، تمهيد للفلسفة، د.ط، ص151.
11. قاسم، محمد محمد، مدخل إلى الفلسفة، ط1، ص181.
12. سورة الإسراء:70.
13. سورة الملك:10.
14. الاشعري، رحلة إلى باطن العقل، ص345.
- 15.سورة الجن:13.
16. سورة الأحزاب:36.
17. صححه الألباني: انظر الحديث رقم (525) مشكاة المصابيح .
18. الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم اللخمي، الموافقات، ط1، ص83.
19. سورة يوسف: 2.
- 20.سورة مريم:97.
- 21.سورة البقرة:259.
- 22.سورة البقرة: 44.

23. سورة الصف:3.
24. الحج:13.
25. سورة الفرقان:55.
26. سورة البقرة: 86 .
27. سورة الأنعام:32.
28. سورة ق:37.
29. النحل:12.
30. سورة الروم:24.
31. سورة النحل: 125.
32. صبري، إبراهيم رشاد، العلاقة بين الوحي والعقل دراسة أصولية، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، س3، عدد5، مقالة 5.
33. العقاد، عباس، التفكير فريضة إسلامية ، د.ط، ص21.
34. سورة يونس: 24 .
35. سورة النحل:78.
36. سورة الملك: 23.
37. العنكبوت: 49 .
38. سورة المائدة: 63.
39. سورة ص: 26 .
40. حسنه الألباني: حديث رقم: (3039) في صحيح الجامع .
41. رواه مسلم .
42. سورة الروم:30 .
43. القرضاوي، يوسف ، في الطريق إلى الله (الحياة الربانية والعلم)، ط1، ص394.
44. الحديد:25.
45. سورة آل عمران.
46. القيسي، مروان إبراهيم ، معالم الهدى إلى فهم الإسلام، ط1، ص113.
47. سورة الزمر:21.
48. سورة الأنعام:25.
49. سورة فاطر:28.
50. صبري، المصدر السابق، ص5.
51. - احمد النكلوي، التغيير والبناء الاجتماعي، ص: 33.
52. ابراهيم عثمان، مقدّمة في علم الاجتماع، ص: 339 .
53. مايكل هارت، أعظم مائة في التاريخ، ص: 13.
54. محمد الطاهر بن عاشور، النّظام الاجتماعي في الإسلام، ص77.
55. أبو محمد عبد الملك بن هشام، سيرة النّبي (ﷺ)، ج ا، ص: 442.
56. احمد أمين، فجر الإسلام، ص 69.

57. محمود عرفة، العرب قبل الإسلام، ص 8.
58. فيليب حتّي، العرب تاريخ موجز، ص 41.
59. هشام بن محمد السائب الكلبي، الأصنام، تحقيق احمد زكي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924 ص 192.
60. حمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ج1، ط3، ص 136.
61. أبو نصر محمد الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة ومضادتها . ص 87.
62. محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ج1، ص 137.
63. أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، ص 60.
64. مقدّمه ابن خلدون، ص: 600.
65. ينظر: عبد الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها ص 364-365.
66. دكتورة زينب الخضير، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، ص 71-72 .
67. دكتور محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي ص 245.

CONFLICT OF INTERESTS There are no conflicts of interest

قائمة المصادر

*القرآن الكريم.

- 1- أحمد النكلاوي، التغيير والبناء الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الأولى، 1968
- 2- أنور الرفاعي، الإسلام في حضارته ونظمه، دار الفكر، ط3، دمشق، 1997.
- 3- إبراهيم، مصطفى إبراهيم، (1993)، مفهوم العقل في الفكر الفلسفي، بيروت، دار إحياء.
- 4- أحمد أمين، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الحادية عشرة، القاهرة، 1975 محمود عرفة، العرب قبل الإسلام، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة، 1995
2. فيليب حتّي، العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، 1991 .
- 5- ابراهيم عثمان، مقدّمه في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، 2009، عمان، الأردن.
- 6-ابن منظور.(1999). لسان العرب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، مادة (عقل).
- 7-أبو ريان، محمد علي.(1969). تاريخ الفكر الفلسفي، الإسكندرية، دار الكتب الجامعية، د.ط.
- 8-أبو يحيى، محمد.(2004). التجديد في الفكر الإسلامي: مفهومه، وأهميته، وضوابطه، وقائع مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي، 12-14 ربيع الثاني في 1422هـ، 3-5 تموز 2001م إربد، جامعة اليرموك.
- 9-أبو سليمان، عبد الحميد أحمد، أزمة العقل المسلم، الزرقاء، مكتبة المنار، ط2.
- 10-أبو محمد عبد الملك بن هشام، سيرة النبي (ﷺ)، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار الصحابة للتراث بطنطا، مصر، 1995.
- 11- الإيجي، عبد الرحمن بن أحمد، (د.ت)، المواقف في علم الكلام، بيروت، عالم الكتب، القاهرة، مكتبة المتنبّي، دمشق، مكتبة سعد الدين.

- 12- الأشعري.(1980). مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح هلموت ريتز، دار النشر فرانز شتاينز فيسبادون، ط3.
- 13- الفيروز آبادي.(د.ت)، القاموس المحيط، دم، دن، د.ط، ج3.
- 14- الطويل، توفيق.(د.ت).أسس الفلسفة، القاهرة، دار النهضة العربية، د. ط.
- 15- السامرائي، فاروق(1997)، تعزيز فقه الواقع في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، مجلة أبحاث اليرموك (سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية).
- 16- السيد، سابق.(1983). العقائد الإسلامية، بيروت، دار الفكر، ط3.
- 17- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم اللخمي.(1997). الموافقات، السعودية، دار ابن عفان، ط1، صبري، إبراهيم رشاد.(2008).العلاقة بين الوحي والعقل دراسة أصولية، حويلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية، س3، عدد5، مقالة 5.
- 18- العقاد، عباس.(د.ت). التفكير فريضة إسلامية، مصر، نهضة للطباعة والنشر، د.ط.
- 19- القرضاوي، يوسف.(2001)، في الطريق إلى الله(الحياة الربانية والعلم)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1.
- 20- القيسي، مروان إبراهيم، معالم الهدى إلى فهم الإسلام، عمان، المكتبة الإسلامية، ط1.
- 21- بوترو، إميل.(1973).الفلسفة والعلم في الفلسفة المعاصرة، ترجمة:أحمد الأهواني، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ط1.
- 22- خليل، عماد الدين.(1991). مدخل إلى إسلامية المعرفة، فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط4.
- 23- دكتورة زينب الخضير، فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، (دار الثقافة للنشر والتوزيع)
- 24- دكتور محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي.
- 25- زينة، حسني (1980)، العقل عند المعتزلة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2.
- 26- زفروق، محمود حمدي، (1983)، تمهيد للفلسفة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط.
- 27- صليبا، جميل.(1973). المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 84-88.
- 28- عبد الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها (بيروت: دار صادر، 1965).
- 29- قاسم، محمد محمد.(2001)، مدخل إلى الفلسفة، بيروت، دار النهضة العربية، ط1.
- 30- مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار التراث العربي، بيروت، 1993.
- 31- موسوعة، عبد المجيد.(1999).العلاقة بين حاكمية الوحي واجتهاد العقل، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، مجلد 14، مقالة 39 .
- 32- مايكل هارت، أعظم مائة في التاريخ، ترجمة أنيس منصور، المكتب المصري الحديث القاهرة .
- 33- محمد الطاهر بن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 2005، القاهرة .
- 34- محمد كرد علي، الإسلام والحضارة العربية، ج1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط3، القاهرة، 1968 .